البعد الأسطوري في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة في أعمال عبد الجليل مرتاض

The mythical dimension in the contemporary Algerian novel, a reading in the works of Abd al-Jalil Murtad

إسماعيل زغودة[1]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر) aboufirass84@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/18 تاريخ القبول: 2021/03/02 تاريخ النشر: 2021/06/01

الملخص:

تعد الأسطورة من أهم المناهل التي يلجأ إليها الأديب قصد تلوين إنتاجه بأشكال جمالية وفنية تبتعد عن الواقع، كما أنها تفتح أفق القراءة أمام المتلقي الذي يعد عنصرا مهما في السلسة الخطابية، فالأدب الأسطوري ،إن صح هذا المصطلح، هو شكل أو نمط من الأنماط الأدبية حيث يقوم فيها الأديب بالمزج بين الواقع واللاواقع وبين الحقيقة والخيال.

من المسلمات أن جميع الأمم عرفت بعض الأنواع من الطقوس والشعائر التي تبتعد عن الحقيقة والواقع، حتى وإن اختلفت من أمة إلى أخرى ومن مجتمع لآخر، بحسب الطبيعة الإجتماعية والثقافية، ولم تكن الأمة العربية بمنآى عن ذلكفقد عرفت قبل مجيء الإسلام وبعده العديد من الأفكار والمعتقدات والطقوس التي لا مبرر لها في الواقع، وراح أفرادها يمارسونها في حياتهم اليومية، حتى أصبحت جزءا منهم.

الكلمات المفتاحية: الأسطورة؛ الرواية الجزائرية المعاصرة؛ عبد الجليل مرتاض.

Abstract :

Myth is considered one of the most important methods that a writer uses in order to color his production in aesthetic and artistic forms that diverge from reality, and it opens the horizon of reading to the recipient, which is an important element in the discursive series. In it, the writer mixes reality and non-reality, between truth and fiction. It is a given that all nations have known some types of rituals and rituals that diverge from the truth and reality, even if they differed from one nation to another and

المؤلف المرسل: إسماعيل زغودة

from one community to another, according to the social and cultural nature, and the Arab nation was not immune to that. Which is unjustified in reality, and its members practiced it in their daily lives, until it became a part of them. Keywords: legend; Contemporary Algerian novel; Abdul Jalil Mortad..

يقول أحمد إسماعيل النعيمي: "من الحقائق المسلم بها أن الأمة العربية خلال فترة زمنية طويلة حتى عهدها – قبل الإسلام- دين الهداية، آمنت بأفكار ومعتقدات، ومارست طقوسا وشعائر في ظل بيئتها الطبيعية، ونظامها الاجتماعي، وبواعثها النفسية" [1].

فالأسطورة لصيقة بجميع المجتمعات حتى وإن اختلفت مفاهيمها ومظاهرها من مكان إلى آخر ومن زمان إلى زمان مختلف، وحتى من أدب إلى أدب آخر.

مفهوم الأسطورة:

وردت الأسطورة في تسعة مواضع من القرآن الكريم، وفي تسع سور مختلفة هي: الأنعام، النحل، المؤمنون، الفرقان، النمل، الأحقاف، القلم، المطففون والأنفال.

وكل السور المذكورة آنفا مكية عدا سورة الأنفال فمدنية، ما يفسر ارتباط لفظة أسطورة بالسور المكية هو تكذيب الناس للدعوة المحمدية ورسالة الإسلام التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكر المفسرون ــ ومنهم الطبري ــ أن جل هذه الآيات نزلت في النضر بن الحارث الذي كان من المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى أنه كان يخلفه في المجلس بعد أن يفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من ذكر الله وإخبار قومه عن الأمم السابقة وما أصابها من عذاب ومحن ابتلاهم بها الله سبحانه وتعالى، فكان النضر بن الحارث يقوم مقامه ويفند ما جاء به الرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام، حتى أنه كان يستحسن ما جاء به هو على كلام الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

ومما ساعد النضر بن الحارث هو اهتمامه بالقصص والروايات حتى أنه كان يتنقل بين البلدان لمعرفتها وروايتها وإذاعتها بين الناس، "فقد كان النضر بن الحارثهذا من شياطين قريش، أي من أذكيائها المتعلمين، درس في الحيرة وبلاد فارس، وحين جهر النبي بالدعوة إلى الإسلام، كان النضر أشد قريش مباداةً للنبيّصلى الله عليه وسلم بالتكذيب والذى، وكان صاحب أحاديث. أي أنه كان قاصا مولعا باكتتاب القصص والأساطير الجاهلية العربية والفارسية"[3].

ويذكر الطبري بعضا من هذه التنقلات فيقول: "كان يختلف إلى الحيرة فيسمع سجع أهلها وكلامهم"[4]، كما أن النضر بن الحارث كان يتعلم في الحيرة أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم وأسفنديار، ويضيف النيسابوري أنه قام بشراء أحاديث كليلة ودمنة وقصة رستم وأسفنديار[5].

لهذه الأسباب وقف الدارسون موقف الرفض تجاه الأسطورة، لما كانت تعنيه من دلالات سلبية خاصة وأنها التصقت باسم كان معاديا للدعوة المحمدية، لكن هذا الرفض لم يكن معللا خصوصا وأنه أهمل الجانب الجمالي الذي يضفي على النتاج الأدبي نوعا من الدلالات تبعده عن الواقعية التقريرية.

ومما جاء في لفظة سطر ما ورد في معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني: "السطر و السطر الصف من الكتابة و من الشجر المغروس و من القوم الوقوف , وسطر فلان كذاكتب سطرا " [6] , وقد ورد هذا الجذر اللغوي في العديد من آيات القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَالطُّور وكِتَاب مَسْطُور﴾[8]، وقال تعالى: في سورة الإسراء: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾[9].

ولكن قوله تعالى: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين﴾ المذكورة في السور السالفة فدلالتها تختلف حيث يقول المبرد: " هي جمع أسطورة نحو أرجوحة و أراجيح و أثفية و أثافي و أحدوثة و أحاديث و قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾, أي شيء كتبوه كذبا و مينا فيما زعموا"[10].

فالمعاجم العربية القديمة تتفق على دلالة الأسطورة بأنها الأباطيل و الأكاذيب و الأحاديث التي لا نظام لها, جمع أسطار و أسطير إلى العشرة,ثم أساطير جمع الجمع, و الساطرون ملك من ملوك العجم قتله سابور ذو الأكتاف [11].

لا نتوقف عند ما جاءت به المعاجم العربية القديمة, و إنما نعرج على بعض المعاجم الحديثة أملا في الوصول إلى دلالات غير الواردة في القديم نظرا للأسباب التي تعرفها أي لغة من لغات العالم من تطور في الدلالة و المعاني فنجد مثلا لفظة أسطورة واردة في قاموس المنجد بمعنى: "أسطورة: ج أساطير: حكاية غريبة يغلب عليها الخيال, تجمع بين التراث الشعبي و الديني و التاريخي, و تتجلى فيها مقدرة المخيلة الشعبية و الأدبية على تحويل الوقائع إلى مبالغات و خرافات تجسد قوى الطبيعة و الآلهة: الأساطير اليونانية, العلم يهدم الأساطير, الأسطورة النابولونية:دخلت الأسطورة في حياته, أساطير: أباطيل و أحاديث عجيبة, أسطوري: خاص بالأسطورة, تقليد أسطوري: غير واقعي, خيالي, خرافي, رواية أسطورية, حيوان أسطوري: خارق للعادة ..."[12].

ما يمكن استنتاجه مما سبق أن الأسطورة أخذت مجموعة من الطرائق في التفسير,منها ما اتصل بتفسير القرآن الكريم, و منها ما اتصل بتاريخ الأمم غير العربية, فتراوحت بين الكتابة و الخيال و العجيب و الخارق, و عليه فالأساطير هي الخرافات و الأعاجيب و الأباطيل.

المفهوم الإصطلاحي:

شهدت القرون الماضية مجموعة من الدراسات التي اهتمت بموضوع الأسطورة منها ما هو عربي, و منها ما هو غير ذلك و نذكر منها:

دراسة إدوار برنت تايلور E.B.Tylor الموسومة بالثقافة البدائية.

دراسة روبرتسن سمث Robertson smith الموسومة بـ: دين الساميين the relgion of the semites ثم أعقبتها دراسة جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي عام 1890, و قد اهتم الأنثروبولوجيون بمفهوم الأسطورة و الذي يعني عندهم "الجزء القولي المصاحب للطقوس"[13], و تتأكد هذه المقولة في مفهوم روبرتسن سمث في كتابه المذكور سلفا: "يمكن التأكيد بكل ثقة بأن الأسطورة منبثقة من الطقس, و ليس الطقس منبثقا من الأسطورة، لأن الطقس محدود ومعين، والأسطورة تختلف، والطقس إجباري، بينما العقيدة في الأسطورة هي حسب رأي المتعبد"[14].

فالأسطورة هي قصة تقليدية حول كائنات ما فوق الطبيعة، أو أعمال ميتافيزيقية، لكائنات حية أوغير حية، أو أدوات جامدة على الأخص بين الشعوب البدائية، تعنى بفلسفة الخليقة والطبيعة، معروضة في شكل قصصي تكون فيه فعاليات الكون قد صورت كتصرف كائنات شخصية كما جسمت قوى الطبيعة وعناصرها عادة كآلهة وعفاريت[15].

ويرى بعض الدارسين أن نقد الأسطورة ودراستها ظهر في القرن الثامن عشر بعد أن اتصل بالعلوم الإنسانية الأخرى كعلم الإجتماع والتاريخ وعلم النفس، "عندما أتى القرن الثامن عشر وبدأ نقد الأساطير بالمعنى الصحيح ونبغ فيمن نبغمن المفكرين ماكس ملر (Max Muller) وهربرت سبنسر (Herbert Spincer) _ الذي فسر الأساطير في ضوء علم الإجتماع _ اهتما بالأساطير اهتماما كبيرا، وبذلا المجهود في تحديد معناها فقال ملر: إنها مرض من أمراض اللغة (Disease of language) فسلك مسلك عالم اللغات، وجاء بعده سبنسر فما كانت الأسطورة في رأيه إدراكا مبتدئا بل إدراكا خاطئا (Erroneous set of interpretation) ومن آراء هذين المفكرين نعلم أنهما جعلا الأساطير مرآة لقراءة نفسية الذين ألقوا الأساطير، فرأى ملر أن القدماء كانوا عاجزين عن الإعراب

عن ضمائرهم بلسان مبين، وأما سبنسر فإنه حسِب الأولين قاصرين عن فهم معنى الموجودات حيث قال إنهم مخطئون في إدراكها"[16].

قدم الباحثان وجهة نظرهما فيما يخص اشتغال الأسطورة ودواعي اللجوء إليها، كما أنهما نظرا إليها على أنها صفة سلبية لجأ إليها القدماء للتعبير عن عجزهم وعدم قدرتهم على تفسير الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية التي تحيط بهم، سواء أكان ذلك من الناحية الدينية أو من الناحية الإجتماعية وحتى التاريخية.

فالأسطورة وفق هذا المنظور هي أفكار ومعتقدات قديمة،عبر بها البشر البدائيون عن علاقتهم بما يحيط بهم، وارتبطت بعدة مجالات منها الدين والتراث الشعبي والحكايات والقصص، فهي "صورة من صور الفكر البدائي حينما كانت مسطورة أو مطبوعة في ألواح الأذهان، كما قيل في أسطورة إغريقية أن غيمز الساقي ابن طروس ملك طروادة، كان بديع الجمال فخرج يوما للقنص على جبل فنزل زوس (رب الأرباب) بهيئة نسر فاختطفه إلى السماء، فأقام في أولب واتخذه زوس ساقيا له، ولهذا سمى الدلو"[17].

أما الأسطورة في الدراسات العربية، فكان لزاما على الدارسين التعامل معها بنوع من الحيطة والحذر، كونها تتعلق بالمعتقدات والشعائر الدينية، ولهذا فكان تفسيرهم لها مرتكزا على مصادر دينية منها القرآن الكريم، وكتب التفسير، والمعاجم العربية القديمة، وكذلك بعض الروايات التي تتضمن بعضا من هذه الأساطير، كما لم تهمل المصادر الأجنبية خصوصا اليونانية منها، مع مراعاة الخصوصية التي يتميز بها المجتمع العربي عن باقي المجتمعات الأخرى.

إن الحديث عن الأساطير العربية يفرض علينا التطرق إلى تاريخ الإنسان العربي أو بالتحديد الأديب في القديم، ومميزات أدبه من الناحية الفكرية ومن الناحية البنوية، يقول محمد عبد المعيد خان: "إذا أردنا أن نبحث أسطورة عربية خالصة فيجب أن نبحثها من وجهة صناعة العرب اللفظية والمنطقية"[18].

يعد رأي الباحث خليل أحمد خليل من أهم الأراء العربية التي اهتمت بموضوع الأسطورة، بحيث نستشف نوعا من العلاقة بين مفهومه لها والخاصية العربية في الطرح الفني والجمالي، كما أنه يبعدها عن الخرافة فهي "حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي، وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد فيها، فالأسطورة هي موضوع اعتقاد"[19].

ويربط أحمد كمال زكي الأسطورة بالعالم الميتافيزيقي المبني على عوالم الخوارق والأعاجيب الذي لا مبرر له في الواقع الطبيعي فهي عنده "لا تخرج أن تكون قصة خيالية قوامها الخوارق والعاجيب التي لم تقع في التاريخ ولا يقبلها العقل، حتى أننا عندمانريد أن ننفي وجود أي شيء نقول عنه إنه أسطوري"[20]

لا نوافق هذا الرأي الذي يرى أن الحكم على انعدام شيء أو تعمد الحكم عليه بالانعدام نطلق عله صفة الأسطورة، فقد نعبر عن اندهاشنا وانبهارنا به يجرنا إلى التعبير بهذا التعبير، كقولنا كتاب أسطوري أو رجل أسطوري...

ارتكازا على ما سبق، يمكن أن نقول أن الأسطورة أخذت نصيبها من التفكير عند العرب وغيرهم، القدماء والمحدثين، وكان فهمها عندهم جد متقارب لا يخرج عن كونه مرتبط بالعامل الديني أوالتاريخي، يقول أحمد إسماعيل النعيمي: "وفي رأي الدراسات العربية المعاصرة المتأثرة بوجهة نظر القدامى، وآراء الغربيين، أن الأسطورة حكاية خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب تتجاوز العقل الموضوعي، وهي تروي فضلا عن ذلك – تاريخا مقدسا – لكل ما سطره العرب الجاهليون يلعب أدواره الآلهة وأنصاف الألهة، والكائنات الغيبية، وبعض البشر المتفوقين، مستمدا من فكر بدائي موغل في القدم"[21].

بين الأسطورة والخرافة:

لم يكن مصطلح السطورة الوحيد الذي اهتم به الدارسون في حقل الأدب وخصوصا العجائبي منه، وإنما مصطلح الخرافة هو الآخر كان مستثارا باهتمام الباحثينشأنه في ذلك شأن الأسطورة، بيد أن الجدير بالاهتمام هو قضية اختلافهما أو تطابقهما أو تعالق إحداهما بالآخر.

بالعودة إلى المصادر العربية القديمة التي تحدثت عن الموضوعين أو عن أحدهما وإردافه بالآخر، نستخلص أن الموضوعين أخذا نوعا من الاهتمام خصوصا عند أولئك الذين جعلوا من الأدب الشعبي مادة دسمة لدراساتهم، فابن النديم تحدث عن المصطلحين على أنهما متطابقان، فالخرافة هي نوع من قصص الحيوان والطير والبهائم والناس بقصد الموعضة مع الإيجاز.. وهو ما يطلق عليه بالإنجلزية والفرنسية Fables، مضيفاأما الأساطير الأخرى التي تفسر خلق الحيوان أو تتحدث حديثا رمزيا له مغزى ويكون بطلها من الناس والطير والبهائم فتشترك فيها الأسطورة والخرافة[22].

يفسر هذاالرأي التعالق الوطيد بين المصطلحين في المضمون فقولنا بطل أسطوري يقترب في معناه من قولنا بطل خرافي، أي أن العقل ينبهر من قوة هذا البطل، ومما يؤكد هذه الأمثلة التي سقناها للتوضيح

عناوين المؤلفات التي كتبت حديثا أو قديما والتي تجعل من المصطلحين متقاربين في الدلالة ككتاب: الأساطير والخرافات عند العرب لمحمد عبد المعيد خان، التفكير الخرافي لنجيب إسكندر.

ويبين الدارس عبد الحميد يونس التقارب بين المصطلحين والالتحام القائم بينها خصوصا في الحكايات التي تتخذ من الحيوانات أبطالا لها، فالكثير من الأساطير كانت في الأصل تجسيما لقوى حيوانات بعينها، ثم تطورت وأصبحت آلهة تحتفظ بصورة الحيوان، والخرافة هي حكاية حيوان تستهدف غاية أخلاقية، وهي قصيرة تقوم بأحداثها حيوانات تتحدث وتتصرف تصرفات إنسانية[23].

لا يمكن الجزم بالقول أن الأسطورة تتقارب مع الخرافة في المضمون والمعنى، وعليه لا يمكن إنكار الآراء التي خالفت ما سقناه سابقا وجعلت من المصطلحين متباعدين بالنظر إلى العديد من المبررات التي استأنست لها منها ما يختص بالاعتقاد، ومنها ما يهتم بشخصية البطل[24].

يمكننا القول بأن العلاقة بين المصطلحين- الأسطورة والخرافة – علاقة ضبابية غير واضحة، من الدارسين من يجعل منهما مصطلحين متقاربين في الدلالة كونهما يطرحان أفكارا غير واقعية بعيدة عن المنطق، وخلافا لذلك نجد بعض الدارسين يفصل بين المصطلحين. وعليه ففي اعتقادنا أن الأسطورة تقترب من الخرافة كونها يعتمدان على الخيال الموغل في الميتافيزيقا، إلا أن المصطلح الأول ارتبط بالأدب الرسمي والثاني ارتبط بالأدب الشعبي.

الأسطورة في الأدب العربي:

استأنس الأدب العربي – شعره ونثره، قديمه وحديثه – بالأسطورة سواء أكانت عربية أم غير ذلك لدواعي جمالية، أو تواصلية إبلاغية، أو لأغراض إيديولوجية، يمكن استنباطها من خلال التلقي المبني على القراءة الفاحصة والمتأنية للنتاج الأدبي.

من الأساطير العربية التي وظفها الأدباء العرب القدماء وخاصة في الشعر تلك المتعلقة بقسم الكواكب، أسطورة كوكب (الدّبران) الذي كانت تعبده قبيلة تميم؛ وهو كوكب أحمر منير رديف للثريا، وسُمي دبرانا لأنه استدبر الثريا، ويسمى أيضا (الفنيق)، وهو الجمل العظيم، ويسمى أيضا (تابع النجم) وتاليه، لأنه يتبع الثريا في الطلوع والغروب.

كما لكوكب (الثريا) حضور في الشعر العربي القديم الذي يعد معبودا لقبيلة طيء، وتروي الأسطورة العربية القديمة أن (الدبران) تقدم لخطبة (الثريا)، وطلب من القمر أن يزوجه بها، غير أنها رفضته

بسبب فقره وقلة ماله، غير أن (العيوق)؛ وهوكوكب مضيءيطلع قبل (الجوزاء) في ناحية الشمال، منع (الدبران) عن لقاء (الثريا)، وفي هذا يقول أبو ذؤيب الهذلي:

فَوَرَدْنَ والعيُّوقُ مَقْعَدَ رابِىء الضُـ رباءِ فوقَ النجم لا يتتلّعُ.

وكان كوكب (الدبران) في القديم رمزا للأحزان والمتاعب والمصاعب، يقول أحد الشعراء:

غداة توخي الملك يلتمس الحبا فصادف نحسًا كالدّبرانِ[25].

وكان الدافع إلى التغني بالكواكب والنجوم وتضمينها في شعر العرب القدماء هو عدم وجود طبيعة ساحرة يفتتن بها الشعراء وتؤثر فيهم، حتى يصفوها بطرائق شاعرية ذات صيغ جمالية، وهذا حال شبه الجزيرة العربية المعروفة بصحاريها القاحلة ووديانها الجافة ومسالكها الوعرة، فمن المحتم على الشعراء اللجوء إلى أساطير الكواكب كي يلونوا أشعارهم بها.

فالشمس والقمر والنجوم والكواكب والوديان كانت ملهمة الشعراء في العصور القديمة، كما كان للأوثان والأصنام دور في التأثير على النص الأدبي، من خلال إغارة الشاعر على عدد كبير من الأسماء التي كانت تطلق على مثل هذه الأوثان أو الصفات التي كانت تتميز بها، ومنها نذكر: اللات، العزى ومناة، يقول المتلمس الضبعي:

أَطردَتْنِي حذرَالهجاء ولا واللاتِ والأنصابِ لا تئلِ.[26]

وكان للجبال والأشجار كأساطير حضور في الشعر العربي القديم، خصوصا تلك التي كانت لها تبجيلا وتقديسا عند العرب،فكانت تميزها عن غيرها فالنخلة فتنت الشاعر فراح يقدسها يضمنها في شعره وكان للعاشقيْن الجبلين (أجا) و(سلمى) من أهم الأساطير التي عرفها العرب قبل مجيء الإسلام.

لم يكن الأدب الحديث والمعاصر بمنآى عن الأسطورة، خاصة إذا أراد الأديب التخفي وراءها لتسريب أفكار محظورة في مجتمعه، ولهذا نجد المتلقي يعاني من ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر لاحتوائه على عدد كبير من الأساطير، ولم تخل الرواية العربية من هذا النوع سواء أكانت هذه الأساطير عربية أم إغريقية، و"لعل رواية توفيق الحكيم (دعوة الروح) أول نص عربي ينزع إلى استلهام الأسطورة، ولعلها أول نص روائي عربي أيضا يرتبط ارتباطا وثيقا بالظاهرة التي تعالجها هذه الدراسة، أي النزوع الأسطوري، ذلك أنه ليس ثمة أسطورة في الرواية، بل ثمة استلهام لأسطورة، هي أسطورة الموت والانبعاث الفرعونية، أي أسطورة (إيزيس وأزوريس)".[27]

وتمتد الأسطورة الموظّفة في الأدب العربي القديم والحديث لتشمل الطبيعة والحيوانات والكواكب وكل الأمور الخارقة التي تجعل من العقل سابحا في الخيال، ومنها نذكر:

- الأساطير المتعلقة بالتربة والجبال والكهوف.
- الأساطير المتعلقة بالآبار والوديان والأنهار.
- الأساطير المتعلقة بالنار.
- الأساطير المتعلقة بالأشجار والنباتات.
- الأساطير المتعلقة بالريح.
- الحيوانات الأسطورية.
- الطيور الأسطورية

فالهامة والعنقاء من الأساطير التي عرفها العرب ذات الصلة بالطيور، والتي لها دلالة خاصة في الحياة اليومية للفرد العربي قديما وحديثا، فالبوم (الهامة) رمز للحزن والموت، ولا زالت هذه الأسطورة منتشرة إلى اليوم.

لا أحد ينكر وجود الأسطورة في الأدب العربي، خصوصا وأن الأدب مبني على الخيال لتأدية أغراضه الجمالية التي وُجد لأجلها. وعليه فالاستئناس إلى الأسطورة من الميزات الفنية التي يعمد إليها الأديب (شاعر، كاتب) من أجل طبع نصه بنوع من الجمالية الفنية، إضافة إلى تشويق القارئ وجعله مرتبطا بالنتاج الأدبي مشدودا بأفكاره هائما في أساطيره.

الأسطورة في أعمال عبد الجليل مرتاض:

صبغ الكاتب عبد الجليل مرتاض نصوصه الروائية بمجموعة من الأساطير اليونانية والتي تتعلق بالآلهة، وكان الدافع إلى ذلك هو أن رواية "دموع وشموع" عالجت موضوع الجن، بعد أن أصيبت شخصية البطل سمير بذلك، خصوصا بعد وقوعها في علاقة حب قوية مع شخصية نورة

فلآلهة اليونان حضور في رواية "دموع وشموع" من خلال (أفروديتا) آلهة الحب والجمال، و(باخوس) إله الخمر، و(هيرا) ربة الزواج...، كما أن الكاتب يقارن بين العالم الحقيقي الذي نعيشه والعالم الأسطوري المليء بالخرافات والعجائب "ألا يحق لعالمنا أن يرتاح الآن من بلاهتك وعتاهيتك؟ سنقيم حفلا لم يشهد عالمنا مثيلا له من قبل، لن ننسى على كل حال كاهنتك ومعها كاهنات

باخوس إذا أعفاهن إلههن من الوحي والإلهام لبعض الوقت، ومعهن أفروديتا حتى ترد إلى صاحبتك التي تجاوزت العقد الرابع بريقا من الحب والجمال، ستكون هيرا وسيطة بيننا وبين باخوس، لا نحسب أنه سيرد طلبا كريما لـ زيوس"[28].

فتوظيف الأسطورة من شأنه أن يضفي أبعادا خيالية تؤثر في ذهن المتلقي خصوصا وأن الكاتب زاوج في هذا المقطع بين العالم الحقيقي الواقعي والعالم الماورائي الميتافيزيقي، كما أن القارئ – وفق هذا- يصبح مشاركا في النص من خلال البحث عن الأسباب التي أدت بالكاتب إلى توظيف الأسطورة، ولعل من أبرزها هو الجانب الفني الذي اهتم به الكاتب في هذا العمل، وجعل من شخصية البطل في مقام الآلهة اليونانية التي تضمنها أدبهم القديم.

فهذا الرمز الأسطوري الذي وظفه الكاتب من شأنه أن يفتح أفق القراءة أمام المتلقي، فيمكن أن يقرأ على أن الحب الذي وقع فيه سمير مع نورة كان حبا قويا لذا لجأ إلى الأسطورة اليونانية القديمة للتشبيه والتمثيل، "أتدري لماذا بدا لنا أن ندعو كاهنتك إنها ليست مثلك بلهاء، ولا مغفلة، إلى جانب أنها تمونك بالوحي والإلهام، فهي تدنو إلى حد مما تستعير من شخوص عالمنا، هي تسترد حريتها بمجرد فراغك من خربشتك وشخوصنا تظل حبيسة حروفك، عالمنا معجب بها على أي حال، فأنت كثيرا ما جشمتها مهمات عسيرة وأدوارا خطيرة فاقت أحيانا طاقتها، وأحيانا أخرى كادت تتفوق على شخوصنا، ألا تستحق بجدارة دعوة من عالمنا لتكون مرحة من بين الجميلات؟"[29].

ومن الأساطير التي وظفت في هذه الرواية أن الإنسان إذا مرض بمس فعلى الشيخ أو الراقي أن يوقد له النار من أجل خروجه وفي هذا يقول الكاتب عل لسان الشيخ: "إن زوجك، يا سيدتي – مسكون بجان مارد كافر، وإلا أتم الآية، الجان الكافر أيسر علينا في هذه الحالة التي عليها زوجك مما ضربو جن مُمَنْ، جهزوا مجمرا زاهرا، فصاحبه جاهلي من بني الشَيْصان، ألم تسمعوا قول حسان:

ولي صاحب من بني الشيصان فحينا أقول وحينا هُوَهْ "[30].

إن مثل هذه الأساطير والخرافات التي كانت سائدة في العصور القديمة والتي لا زالت إلى اليوم محل جدال بين العامة والخاصة حول حقيقتها من شأنها أن شعر القارئ بوجودها فعلا، كما أنها تضفي على النص طابع الجمالية والشعرية.

ما يمكن استخلاصه من خلال هذه الورقة البحثية هو أن الأسطورة قديمة قدم وجود الإنسان على وجه المعمورة، إضافة إلى ذلك أن دواعي وجودها هي عدم دراية الإنسان بواقعه المعيش، فراح يبحث عن ظواهر– قد تبدو لنا غريبة أما بالنسبة إليه ولزمانه فهي عادية ومقبولة– لتفسير ما يحيط به، أما النتيجة الأخرى هي أن الأدباء استثمروا الأسطورة وأضحت مكونا لا يمكن للشاعر أو الكاتب أن يستغني عنه، كما أن حدود الأسطورة تعدت الأدب لتشمل علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع:

– أحمد إسماعيل النعيمي: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة مصر، ط1(1995)، ص:11.[1]

– ينظر: المرجع نفسه، ص:23. [2]

[3]– ياروسلاف ستيتكيفيتش: العرب والغصن الذهبي، إعادة بناء الأسطورة العربية، تر:سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان، ط1(2005)، ص:11 ،12.

– نقلا عن تفسير الطبري، ينظر المرجع السابق، ص:12. [4]

– ينظر: المرجع نفسه، ص:12. [5]

– الراغب الأصفهاني: معجم ألفاظ القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3(2008)، ص:260. [6]

– سورة القلم، الأية1. [7]

– سورة الطور، الأية2. [8]

– سورة الإسراء، الأية58. [9]

– الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص:261. [10]

[11]– ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص:210.

الفيروزبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر، دمشق سوريا، بيروت لبنان، ط3(2009،1430)، ص:408.

– المنجد في اللغة العربية، دار المشرق، بيروت لبنان، ط3(2008)، ص: 667. [12]

– أحمد إسماعيل النعيمي: مرجع سابق، ص:30. [13]

[14]- المرجع نفسه ص:30، نقلا عن: The religion of the semites.

- ينظر: المرجع نفسه، ص:32. [15]

- محمد عبد المعيد خان: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص:17. [16]

- المرجع نفسه، ص:21. [17]

[18]- محمد عبد المعيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، لجنة التأليف للترجمة والنشر،القاهرة(1937)، ص:12.

[19]- خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة للنشر، بيروت لبنان، ط1(1973)، ص:08.

[20]- أحمد كمال زكي: الأساطير دراسة حضارية مقارنة، مكتبة الشباب، القاهرة مصر، ط1(1975)، ص:108.

[21]- أحمد إسماعيل النعيمي: مرجع سابق، ص:37.

[22]- ينظر: ابن النديم، الفهرست، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ص:423.

[23]- ينظر: عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية،دار الشؤون الثقافية للطبع، بغداد، ص:30-34.

[24]- ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي: مرجع سابق، ص:53.

[25]- ينظر: المرجع نفسه، ص:150، 151.

[26]- المتلمس الضبعي: ديوانه، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، (1390هـ_ 1970م)، ص:32.

[27]- إبراهيم عبد العزيز السِّمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1(1432، 2011)، ص:173.

[28]- عبد الجليل مرتاض: دموع وشموع، منشورا إتحاد الكتاب العرب، دمشق (2001)، ص:12.

[29]- المصدر نفسه، ص: 12، 13.

[30]- المصدر نفسه، ص: 15.